بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ﴾

(الأنفال ٦٠)

الباب العاشر

إعداد القوى ورباط الخيل

بعد أكتوبر ٧٣ ورحيل السادات أكتوبر ١٩٨١

الفصل الأول

رؤية السادات للحل السياسى

فى حديث مهم بعد قبول مصر وإسرائيل وقف إطلاق النيران فى ٢٧ اكتوبر ١٩٧٣ ، **قال الرئيس السادات للقادة فى شهر نوفمبر** ١٩٧٣ الآتى :

« لقد استعدنا ثقتنا فى أنفسنا واستعدنا وصمة ١٩٦٧ ، وأزلنا إلى الأبد ما حدث فى ١٩٦٧ وتوجد حاليا سخافات ورذالات فى السويس ولاننهار أبدا . . ورغم إيقاف النيران يجب أن تكونوا متحركين وجاهزين بخطط جديدة وبديلة كذلك حرب الدبابات واعمال المفارز والقوات الصغيرة المدعمة بعنصر مضاد للدبابات مثل الصاعقة وخلافه ونبرجس كما نشاء فقد ضاعت ليلة بالكامل فى الدفرزوار ليلة سعد ما سافر إلى هناك لماذا ضاعت؟ » ونظر إلى الفريق الشاذلى نظرة ذات معنى ، ثم قال « اطلب سرعة التفكير وسرعة التصرف وسرعة اتخاذ القرار ومواجهة الموقف . . . من ٦ اكتوبر إلى ٢٢ منه وضعنا إسرائيل عارية أمام العالم ، ولولا امريكا لم تستطع إسرائيل استعادة أو تحقيق ما عملته أثناء القتال وأثناء وقف النيران » .

ثم قال السادات : « لا تنسوا احنا عسكريين لدينا حالة دائمة من **اليقظة والحركة** . . ويجب ان تكونوا جاهزين يقظين وفى حركة مستمرة دائما . . . » .

وبخصوص الفصل بين القوات ، قال الرئيس السادات :

« اتفاقى مع كيسنجر والسروس هو الفصل داخل سيناء ، وليس عن يوم ٢٢ اكتوبر فسيبقى هذا الجيب خطر عليهم . وهذا لا يعنى شيئًا للقوات المسلحة يجوز أن لا يتم . . يجب أن تتحركوا خذوا أرض . . تحركوا **ثم بعد الفصل ندخل مؤتمر السلام** وعليكم الحركة أكبر وجاهزين للاسوأ باستمرار ، ومفروض أن **تظل القضية حية** وروعة قرار اكتوبر وما نفذته القوات المسلحة وتاريخيته أنه نفذ واتخذ ضد إرادة الكبار روسيا وأمريكا ، وكانوا يقولوا لى أوعى الحرب قلت لا يجب تحريك القضية ونحن جاهزين واحترم الكبار

إرادتنا وقرر بعد ذلك . . لن تتوقف القضية **إذا توقفت لحظة سياسيا لا تتوقف لحظة عسكريا** انسوا ما حدث فى ١٩٦٧ ساعمل بكل قدرتى ولكن إذا وجدت القضية ستجمد فإن القرار والجهد والتضحية الذى أتخذ سيستمر . . سلاح البترول سأستخدمه آخذ أى سلاح أراه من أى دولة ، **ثم قال السادات :**

سندخل المرحلة السياسية من مرحلة وقف إطلاق النيران اوجه لكم جميعا خالص شكرى على العمل الذى تم . . كل المعارك يحدث فيها اخطاء ولكن لا تصل إلى ١٩٥٦ ونقول انتصرنا وتنس . .

الدروس والثغرات والأخطاء تدرس تماما .

سنعيد تنظيم الدولة والقوات المسلحة بالكامل .

فيوم ٦ اكتوبر غيّر مصر والدول العربية شعب جديد ومفاهيم جديدة ، ويجب **تطوير القوات المسلحة** بناء على معركة خضناها وليس على ورق أو مشاريع .

ثم استطرد الرئيس السادات قائلا :

« يجب أن نحافظ على ما حصلنا عليه من ثقة تجاه شعبنا فأمامنا عدو مقاتل شرس تسنده قوة كبرى وعلينا أن نواجهه . . وقد واجهناه وسنواجهه وفى كل دقيقة وثانية نستعد لمواجهته بدون الأخطاء . . استفيدوا من التجارب . . سأظل راضى عما تم إذا كنا ننظر إلى المستقبل بروح المسئولية ولا نرضى داخل نفوسنا عما تم ونطور لا تأخذوا ما حدث فى ٥٦ يجب أن لا ننام على هذا ولن أسمح به مرة أخرى . . واجه عدوك استعد له بالحركة استفد من الدروس ادعو لكم بالتوفيق إن شاء الله **وشعارنا دائما يقظة وحركة مستمرة** » .

ومرت الأيام والاتصالات السياسية جارية بمعرفة القيادة السياسية . أما موقف القوات المسلحة فاستمر فى إعداد القوى ورباط الخيل بالطريقة ، التى تحقق تأمين قواتنا وتعديل الأوضاع بإستمرار حتى لا يعرف العدو نوايا قواتنا أو قيادتنا ، مع وضع فكرة الخطة الهجومية ، ويجب أن يكون العدو فى شك ، ويجب عدم ايقاف التدريب لحظة واحدة فالحركة الدائمة فى رؤوس الشواطئ مهمة حتى يشعر بها العدو ويشعر بأهميتها ، ويدفع لها قوات ولايثبتها بقوات قليلة .

كما شجعت القيادة العامة للقوات المسلحة الابتكارات الفردية من الضباط الأصاغر والحركة والعمل بتصرف وحرية الحركة والمناورة .

خطوات نحو الحل السلمى النهائى :

بعد مرور حوالى ١٤ شهرا بعد حرب اكتوبر ، والاتفاق على وقف إطلاق النيران تكلم الرئيس السادات عن معركة عنيفة خاضها طيلة هذه الأشهر ، ولم يفصح عنها تفصيليا إلا بعد أن انتهى منها وفاز فيها ، وهى :

- موقف الاتحاد السوفيتى :

صمم الرئيس السادات على أن لايسلم أبدًا للسوفيت مهما كان . . وصمد ضد قيادتهم ١٤ شهرا إلى أن زار جروتشيكو مصر ، وطلب من السادات ان يسلم روسيا طائرات الميراج التى اخذتها مصر واعتبرتها روسيا خيانة من مصر لأنها تنوع مصادر الأسلحة !! ووعد بارسال عدد كبير من الطائرات وفعلا وصلنا ٢٥ طائرة فى شهر واحد ، ووصل أخيرًا ١٥ طائرة ثم ٦ طائرات يوم ٤ مارس ١٩٧٥ يعنى حوالى ٤٠ طائرة فى شهر . وهنا قال السادات تعليقا على هذا : « كان لازم اصمد واصر على موقفى مهما كان السبب وبالنسبة لى كان هذا فاصل !! ولكن الاتحاد السوفييتى سلم تكتيكيا فقط وهو يحاول تغيير النظام بأى وسيلة ضدى وانا والله ماعاوز شئ ضد مصر لم أضع الكرسى أبدا في الحسبان احط مصر دائما فى الحساب !! هو (يقصد روسيا) عاوز نظام موالى له . . هم غيروا التكتيك فقط لأنهم شعروا أن فرنسا قالت لنا كما قالت فى بيان رسمى إنها ستعوض مصر ما فقدته من أسلحة » .

- موقف امريكا :

بعد وقف إطلاق النيران وجدوا خط ٢٢ مقتل لليهود ، فعملوا عملية السويس وكانوا طالبين الإسماعيلية كمان للتخليص على الجيش الثانى ، ولكن كانت استراتيجيتى معادلة القوتين » . . هكذا قال الرئيس السادات معلقا على موقف امريكا - ثم استمر فى شرح موقفه من امريكا قائلا : « وطلبت منهما - يقصد روسيا وامريكا - التدخل بقواتهما فى مصر لإعادة الخط ٢٢ فقط وأنا علىّ الباقى . . أمريكا أعلنت التعبئة ، وروسيا بدأت تتحرك والحمد لله عملية السويس ناجحة لنا » .

ثم استمر يشرح موقف امريكا فى الطريق للحل السلمى وقال « جاء كيسنجر وعملنا ٦ نقط علشان اكل بدوى وقواته - يقصد اللواء أ.ح أحمد بدوى الذى عينه السادات قائدا للجيش الثالث الميدانى ، وهو كان قائد الفرقة السابعة المشاه شرقا ومازال هو وقواته وقوات الفرقة ١٩ شاه بقيادة عميد أ.ح يوسف عفيفى فى رأس كوبرى الجيش الثالث شرق قناة السويس ، ولكن العدو الإسرائيلى تمكن من السيطرة على طرق إمداده من السويس غربا - أما اليهود فقد راودتهم الأحلام ليخلصوا على الفرقتين ٧ ، ١٩ فى الشرق ، وقالوا ذلك فى الكنيست ولكن ديان قال لهم ليست عندى ذخيرة !! نفس ما حصل لنا مع روسيا - يقصد أنهم قالوا ليس لديكم ذخيرة توصلكم ٢٠ كيلو متر !! » .

ثم استكمل حديثه قائلا « صدقت أمريكا فى الست نقط ، وفتحت التموين لأولادى ثم جاءنى كسينجر ، وقال أنهم حيمشوا من الغرب لأنهم فى مأزق .. وكنا قد وضعنا خطة تصفية الجيب عندنا ٨٠٠ دبابة واليهود موقفهم الصعب فى الغرب .. وقلت لكيسنجر لا إنما عاوز خط ٢٢ وليس إلى الشرق دى معركتى وسأصفيها فى الغرب .... ثم وافقت وحدث فض الاشتباك إلى الشرق .. ثم الخطوة الثالثة بعد فض الاشتباك فى سوريا يتحرك .. وسيصل يوم الجمعة ان شاء الله لموضوع المضايق والبترول ، وكان المفروض أن ننتهى فى اكتوبر لولا ما حصل فى أمريكا داخليا ... وسيحضر كما وعد تماما .. » هكذا أكد السادات ...

استراتيجية الأعداء : نحن كعسكريين يجب معرفة استراتيجية أعدائنا.

الاتحاد السوفييتى - لا يريد حل المشكلة أبدًا منذ عشرة سنوات ، ونفضل متعلقين ومزنوقين له ..

أمريكا : - تريد حل المشكلة فعلا ولكن بشروطها لا بشروطى أنا أو بشروط القضية العربية .. وتطرد الاتحاد السوفيتي من المنطقة وتأخذ الـ CREDIT بالكامل .

« أنا أمامى موقفين » هكذا أكد الرئيس : « ونحن بمعجزة حافظنا على ٨٥٪ من قواتنا أمام غولين كبار واحد فى المواجهة وواحد فى الظهر ، وعلينا متابعة ذلك فى المستقبل بنفس التصميم والثبات » .

« ماذا افعل ؟ » ..

« **روسيا** تعطينى الآن طائرات ٢٥ طائرة فى شهر وهى قادرة وحدها .. وبعد ١٤ شهر لم اركع له ولم أغار مما عمله مع سوريا .. وبدأ يزق سوريا والمقاومة الفلسطينية على مصر ...

« **سوريا** طلعت مهزومة من الحرب ، وبرجاء منى شخصيا - هكذا اكد السادات - أعطيناها القنيطرة وكنت متفق عليه شخصيا قبل رحيل اليهود من الغرب وأبو مدين شاهد على هذا ... وخسروا فى معركة استنزاف أربعة مواقع فى جبل الشيخ ، وإحنا رجعناها لهم .. » .

وعن الفلسطينيين ، اشار الرئيس السادات إلى موقفه منهم ، قائلا :

« أنا لا أخاف من فلسطين .. أنا موقفى واضح . مع الفلسطينيين والبيان اللى صدر مكتوب فى سوريا وكتبه الاتحاد السوفييتى ولم يكتبه الفلسطينيين !! الهدف مهاجمة مصر وإرهابها وتكتيفى » .

الخلاصة :

توقع الرئيس السادات أن تستمر روسيا فى موقفها هذا وقد تتعرض مصر لمواجهة مع روسيا في الصيف ، ولكن السادات أكد أنه سيحاول تجنب ذلك بكل ما يستطيع ، رغم أن عنده **ورقة** بالحقيقة ولكن ليس من مصلحة مصر معاداة قوة كبيرة أو صغيرة إلا إذا بادرنا هو بالعداء . وليس لروسيا وجود هنا إلا كتاجر سلاح فقط .

وقال السادات إن كيسنجر سيصل يوم الجمعة وأن المرحلة القادمة ستكون على شكل عرض proposal امريكى على الطرفين إذا قبلوه ، يتم فض الاشتباك الثانى على الجبهة المصرية ثم يتلوه آخر على الجبهة السورية ، وسنسمع كلام كثير عن الحلول المنفردة ، لن نسأل عن احد ولن نرد » هكذا أكد الرئيس السادات .

- **وعن اعداد القوي لمرحلة السلام** أكد الرئيس السادات لقادة القوات المسلحة هذه التوصيات المهمة :

* عبورنا القناة والاحتفاظ بعشرة سنتيمتر سيغير الموقف والآن عملنا عشرة كيلو متر .....ورغم ما حدث فقد احتفظنا بحجم انتصارنا ، رغم أن روسيا قبل أمريكا أرادت تحطيمه .

* اشغلوا انفسكم بالعسكرية والجنـدية ، واليهود لا يضيعوا فرص تدريب ، ويجب مواجهة العدو بأسلحته .

* اثبتوا شـراسة وجرأة واندفاع واهتـموا بالتكتيـكات الصغرى والقـادة الأصاغر مع الروح الهجومية والجرأة .

* الاتحاد السـوفييتى مُكرهًا سيسير معنا .

* أمريكا ستـكون معنا ، وبعد فك الاشتبـاك سيكون فيه إمكانية شـراء أسلحة من امريكا .

* حافظوا على المستوى وتطوروا بالدروس المستفادة إلى مستوى أحداث اليوم ومالدى إسرائيـل من ابتكار اسالـيب جديدة ومفاجـآت جديدة ، واطلقوا روح الابـتكار والجرأة والشراسة عند القادة الأصاغر فهم أساس المعركة القادمة .

كوبري القبة فى ٣ مارس ١٩٧٥

الفصل الثانى

خطوات مصر فى إعداد القوى ورباط الخيل بعد اكتوبر ١٩٧٣

رغم أن الرئيس السادات صرح بأن حرب أكتوبر ١٩٧٣ هى آخر الحروب ، إلا أن إعداد القوى يجب أن يستمر لمستقبل أفضل فالبقاء دائمًا للأقوى . ولذا وضعت القيادة العامة للقوات المسلحة المصرية خطة خمسية لتطوير القوات المسلحة على مرحلتين : مرحلة أولى إلى نهاية عام ١٩٧٥ ، ومرحلة ثانية إلى نهاية عام ١٩٨٠ .

وحتى تبنى خطة التطوير على أسلوب علمى سليم . . كان لابد من بناء القاعدة الأساسية التى سيبنى عليها الإعداد وهى :

* صيانة المعدات والأسلحة ، والمحافظة عليها ، ووضع خطة علمية للتخزين .
* إعطاء فرصة للبحوث والتطوير لعمل وصنع قطع الغيار لكل سلاح .
* إعادة الانضباط فى القوات المسلحة وتسلسل القيادة السليم .
* رفع الكفاءة القتالية للقوات المسلحة .
* تحديد نسب استكمال تشكيلات القوات المسلحة ، على مراحل .
* تطوير نظام التدريب المهنى فى القوات المسلحة .
* تشجيع التطوع فى كل تشكيلات القوات المسلحة بمزايا أدبية ومادية .
* إعادة تنظيم وتطوير نظام التعبئة ، بما يواكب العصر الحديث .

وهنا نقطة مهمة ، يجب عدم إغفالها فى أعمدة إعداد القوى ، وهى : لزوم معرفة من هو عدونا ، وما هو هدفه ، ومن هم حلفاؤه.

العدو الإسرائيلى :

بنت إسرائيل إستراتيجيتها على أساس ألا تحارب على أكثر من جبهة ، ولكنها فى حرب رمضان اضطرت للقتال على جبهتين الجبهة السورية والجبهة المصرية فى وقت واحد ، ولو كان هناك إجماع عربى لأمكن تكوين جبهة شرقية ، تحارب إسرائيل فى جبهة ثالثة من العراق والأردن مثلا . وبالطبع سيكون الصراع أكثر مشقّة على إسرائيل مهما ساعدتها أمريكا أو غيرها . .

- وتشكّل الخسائر مشكلة كبيرة لإسرائيل ، خاصة القتلى ، والأرجح أنها فى حرب رمضان تحمّلت خسائر جيل كامل . .
- ووقف العرب معًا وقفة رجل واحد ، رغم ما كان بينهم من صراعات .
- لا تتحمل إسرائيل القتال الطويل ، فهى تعتنق مذهب الحرب الخاطفة . ولكن حرب أكتوبر استمرت ٢٢ يومًا ، وهى مدة طويلة بالنسبة للمفاهيم الإسرائيلية في القتال والتعبئة ، والأعباء التى تلقيها على كاهل المجتمع الإسرائيلي .
- وقد اعتمدت إسرائيل في جولاتها السابقة عام ١٩٤٨و١٩٥٦ و١٩٦٧ على مبادئ الحرب الآتية : المبادرة - المفاجأة ، ولكننا في حرب رمضان سلبناها منها . وبعد أربعة ساعات فقط، وليس ستة ساعات كانت إسرائيل قد اختل توازنها على الجبهة المصرية.

واليوم يتكلم الإسرائيلون بأسلوب آخر تخلص من غرور الماضى . . وأصبح المجتمع الإسرائيلى فى حالة قلق ، فقد اقتحمنا جدار الخوف ، ونقلناه هناك داخل المجتمع الإسرائيلى بالكامل . . والجيش الإسرائيلى ممتاز عسكريا وتكتيكيا ، ولكن ما حدث فى الثغرة كان تخطيطًا أمريكيًا :

معلومات - خرائط - قمر صناعى - أسلحة - معدات . . إلخ . .

نظرية الأمن الإسرائيلى :

- تحرص إسرائيل على أن يكون لها التفوّق العسكرى الساحق .
- وتزعم إسرائيل أن جيشها لايهزم .

- وتصر إسرائيل على الأخذ بزمام المبادأة باستمرار .
- وتخطط للحرب الخاطفة القصيرة الأمد .

فكيف تتغلّب عليها :

* بحشد قوة عربية تستطيع أن تواجه التفوق الإسرائيلى ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا﴾ [سورة الحشر ١٤]
* بحرب على أكثر من جبهة ضد إسرائيل ، وفى وقت واحد .
* بتحقيق المفاجأة من حيث لا يحتسب العدو .
* بحرب ممتدة لا تستطيع إسرائيل حسمها فى ساعات أو أيام .

فما الذى حققناه حتى الآن :

١- قبلنا التحدي ونحيَّنا جانبًا التهديد والوعيد بطحن عظام جنودنا وهم يعبرون القناة .

٢- واجتزنا حائط الخوف .

٣- وصممنا على المواجهة المباشرة مع العدو الإسرائيلي .

٤- والتزمنا بدقة التخطيط والتنفيذ لعملية العبور التاريخية .

٥- وحققنا روح القتال العالية التي اشتهرت بها القوات المصرية على مر العصور .

٦- وحاربنا بجدية معتمدين على عدالة قضيتنا وتأييد العلى القدير .

٧- وحاربنا في ظروف ، تختلف عن ظروف الماضي في قسوتها وشدتها وتطور أسلحتها وتقانة معداتها .

٨- ففقدت المؤسسة العسكرية الإسرائيلية هيبتها .

٩- وحدث شرخ فى جدار الثقة بين المؤسسة العسكرية والمؤسسة السياسية في إسرائيل ، واهتزت العلاقة بين القيادة والقاعدة واحتدم الجدل بين الزعماء السياسيين والقادة العسكريين .

﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ﴾

[سورة الحشر ١٤]

وتلك بعض أخطائنا التكتيكية من وجهة نظر القائد الأعلى :

- تجنب قائد إحدى التشكيلات المقاتلة الوصول إلي منابع البترول في جنوب سيناء ، كان خطأ كبيرًا ، وهذا يفتح أمامنا دروسًا تكتيكية يجب أن نمعن النظر فيها ، مع أهمية اتقان التكتيكات الصغري للقادة لحسن التقدير والتصرف . فقد كان جنوب سيناء مفتوحًا بالكامل للقوات المصرية ، ولو تحلى ذلك القائد بالجرأة لاحتل مناطق آبار البترول ، ولزادت مكاسبنا من تلك الجولة .

- ولم يستطع قائد اللواء ٢٥ المدرع الانضمام إلى الجيش الثاني ، وقفل الثغرة شرقًا بالاندفاع بسرعة والانضمام إلى الفرقة ٢١ المدرّعة ، ويقال إنه تردد وتحمل خسائر كثيرة نتيجة هذا التردد ، وأعتقد أنه كان في حاجة إلى غطاء جوى لمعاونته في مهمته ، حيث تعرَّض لضربات العدو الجوية بتركيز .

- كما لم يتمكن اللواء ١٥ المدرع من التقدم بنجاح إلى بالوظا في الشمال ، لعدم تمكنه من استطلاع مواقع العدو واكتشافها قبل أو أثناء التحرك . . **وهنا علق الرئيس السادات على هذا الإجراء بقوله :** « انضرب اللواء ١٥ وخسر كثير ، وطلب الانسحاب ولم يوافق أحمد إسماعيل ، وكانت دباباته ت ٦٢ المفروض أن نطور بها الهجوم شمالا ، وكنا نغيّر الموقف ونصل إلى الشمال ، وكان هذا يساعد على سقوط موقع العدو شرق بور فؤاد بسهولة » .

الفصل الثالث

الإستراتيجية الأمريكية وآثارها على إعداد القوى ورباط الخيل فى العالم العربى

مقدمة :

دخل الاتحاد السوفييتى إلى منطقة الشرق الأوسط عام ١٩٥٥ ، وكانت حركات التحرر العربى من النفوذ الغربى تزداد قوتها ، بحكم أنها التطور الطبيعى لحياة الشعوب ، وكانت هذه الحركات التحررية تخدم مرحليًا السياسة السوفيتية فى المنطقة . وقد دفع هذا الولايات المتحدة إلى التحرك سريعًا ؛ لمواجهة هذا الاتجاه بتدعيم بعض النظم فى العالم العربى ، وممارسة مزيد من الضغوط على بعض دول المنطقة ، والعمل على مد إسرائيل بالأسلحة والمساعدات وزيادة تدعيمها اقتصاديًا . ولقد حاولت بعض الدول الغربية ، ذات المصالح فى الشرق الأوسط ، استعادة مصالحها ومكانتها فى المنطقة ، بأن تدخل ميدان المنافسة بتطوير سياستها كسبًا للدول العربية . وكانت فرنسا على رأس هذه الدول فحدت من اندفاعها فى تأييد ودعم إسرائيل ، وبدأت فى تنمية علاقاتها مع الدول العربية على أساس المصلحة المشتركة ، كذلك حاولت ألمانيا الغربية استعادة علاقتها مع الدول العربية ، إلا أن خضوعها - بصورة واضحة للنفوذ الامريكى والصهيونى وتأييدها المستمر لإسرائيل - كان عقبة أمام تغيير الموقف العربى منها .

ولقد مرَّ التوازن الإستراتيجى العالمى فى مطلع الخمسينيات بسياسة **حافة الحرب** ، وانتهى فى مطلع التسعينيات **بخطة المصارحة وإعادة البناء** ، وبزغت التكتلات الدولية الكبرى ذات الطابع الاقتصادى ، ثم حدث الزلزال الكبير الذى تعرضت له العلاقات الدولية ، وأدى إلى سقوط قوة سياسية وأيديولوجية وعسكرية كبرى ، أفسحت الطريق لقوة واحدة ، فلم يكن أمام سائر الشعوب إلا الرضا بقدرها المحتوم ، ومواصلة الحياة تحت مظلة الرهبة والخوف من تلك القوة الوحيدة القادرة .

وتعتبر منطقة الخليج العربى مركز الثقل فى حسابات أمريكا ، فبترول العرب يمثل ٣١,١ ٪ من احتياطى البترول العالمى ، وإيداعات العرب تصل إلى ما يقرب من ٢٥ مليار دولار أمريكى أو أكثر فى بنوك أوروبا وأمريكا . وقد خططت أمريكا لعزل مصر من مسرح الصراع ، وهى تعتبر سيادة مصر ضد أمن إسرائيل ، التى مازالت - وستظل لفترة ما - الحارس الأمين لتحقيق الإستراتيجية الأمريكية فى الشرق الأوسط عامة ، والعالم العربى خاصة ، ولهذا فهى تساندها مساندة كاملة .

ويجب أن **نتفهم الأهداف الإستراتيجية الأمريكية فى الشرق الأوسط عامة ، وفى العالم العربى والخليج خاصة ، وأهمها تحقيق الآتى :**

١- السيطرة الإستراتيجية الكاملة على المنطقة .

٢- وضع اليد على ثروات المنطقة خاصة البترول .

٣- المحافظة على أمن إسرائيل وسلامتها وقوتها ووجودها .

وهذه الأهداف تحتم على أمريكا إزالة العقبات ، التى تعترض طريق تحقيقها بكل القوى الممكنة ، سياسيًا ودبلوماسيًا واقتصاديًا ونفسيًا وامنيًا وبوليسيًا وماليًا وإرهابيًا ، تحميها بقوة السلاح ، وما تملكه أمريكا من قوة ، يقال إنها أصبحت أقوى قوى العالم جويًا وبريًا وبحريا ، وبالطبع تمتلك الفضاء وقدرة تدمير العالم الأول والثانى والثالث ، وتخطط أيضًا لتنفيذ استراتيجية رباط الخيل الأمريكية فى سماء العالم العربى ، وبحار الشرق الأوسط ، وفى الفضاء الخارجى الذى تسيطر عليه . وبفضل قواعدها هنا وهناك حتى فى أعماق الأرض والبحار !! **تحققت كل الاستراتيجية المرسومة** .

- إذ تم إخراج الاتحاد السوفييتى من المنطقة ، وكذا إخراج إسلحته وأغدقت الولايات المتحدة أسلحتها ومعداتها على جيوش المنطقة ودولها ودويلاتها ، برًا وبحرًا وجوًا .
- تم لها الإمساك ووضع اليد والقدم على موارد الطاقة فى المنطقة .
- وسيطرت على المال العربي الذي لا حدود له .
- وأنهكت القوي الوطنية في معظم الدول العربية والشرق أوسطية ، بأسلوب علمي وعملي ونفسي وإعلامي ، وأثارت الفتن والنزاع الأخوي والقبلي والطائفي .

- وقاومت المد الإسلامي في المنطقة في إيـران والعراق والجنوب والشمال والوسط والغرب العربي .

- وضمنت الـتفوق العسكري الإسرائـيلي ، وخاصتها بـامتلاك الأسلحة الذرية وإنـتاجها وحرية استخدامها وإشعاعها !! .

- وتحكمت في رغيف العيش ولقمة الخبز والقراءة الرشيدة وكتب الطفل وتربية النشء !!

وخططت أمريكا لإشعال فتنة الحرب الإيرانية[1] العراقية ، التى اسـتمرت حوالى تسع سنوات بـين دولتين مسـلـمتين . وتعتبـر هذه الحرب أطول حرب لـدول العالم الثـالث فى التاريخ الحديث ، وقدرت خسائرها البشرية بالآتى :

	ايـــران	العـــراق
قتلى	٧٣٠ ألف	٣٤٠ ألف
جرحى	مليون ، ٢٠٠ ألف	٧٠٠ ألف
أسرى	٧٠ ألف	٤٥ ألف
النفقات	٧٠ مليار دولار أمريكي	١٧٠ مليار دولار أمريكي

بالإضافة إلـى تدميرمنشآت البـنية الأساسية ، وعدد كبـير من الأسلحة والقوات ، وكـذا نزيف الرجال والمال والموارد ، وأوقفت هذه الحـرب خطى تقدم القـوة العراقية . ولما قـامت بغزو الكويت فى ١٩٩٠ ، وهددتها أمريكا وحلفاؤها ، واستكملت الـتهديد عمليًا بحرب الخليج - أو عاصفة الصحراء - ونزلت بالعراق كوارث مخيفة وخطيرة . .

ولقد تسبَّب الغزو العـراقى للكويت فـى تحقيق خسائر فادحة ، إذ أضعفت القوى العربية ، وأعطى وقودًا لقوى الولايات المتحدة الأمـريكية وإسرائيل ، التى استغلت هذا فى صرف أنظار العالم العربى عن قضية توطين المهاجرين السوفيت فى إسرائيل ، وعما يجرى داخل الأراضى المحتلة فى فلسطين من إبادة للمقاومة الفلسطينية. وهدمت التضامن العربى ، الذى ثبـت أنه كان حبرًا على ورق !! ومـن ثم أتاح الغزو العراقى للكويت فـرصة العمر للغزو الأمريكى إلى داخل المنطقة العربية بشرعية ، ووفقًا لرغبة بعض حكام العرب .

(١) توقفت معارك الحرب العراقية الإيرانية فى أغسطس ٨٨ .

فبعد تحرير الكويت تغير الحال ، وأعيدت صياغة التوازن الدولى فى الشرق الأوسط ، وقد تم صرف البلايين المستثمرة من البترول العربى على أعمال الحرب والقتال والتسليح مع إعادة التعمير .

وأعاد التاريخ نفسه فى ضرورة الهيمنة على منابع البترول الخليجية بواسطة الدول الكبرى ، وعاد الاستعمار إلى قلب العالم النابض بقوة ونفوذ وجبروت مع رضاء الضعفاء ، وقبول المغلوبين على أمرهم وامتثال البعض الآخر .

فأمة العرب قد أفزعتهم المفاجئات ، وفرقتهم الخلافات ، وحطمت قواهم الأطماع فانقلبت موازين القوى العربية رأسًا على عقب !!

وتغيرت خريطة العالم العربى . . فبعد أن كان العراق قوة جبارة ، تمتلك مفتاح إنتاج أسلحة الدمار الشامل ، وتهدد إسرائيل (ذاقت إسرائيل أثناء عدوان العراق على الكويت طعم صواريخ العراق المدمرة لأول مرة فى تاريخها) ، ضعفت واستكانت وتخاذلت وهزمت .

وبالطبع أضعفت هذه الأرصدة العربية التى راحت فى رمال الصحراء وتبعثرت فى مياة الخليج - القوى العربية ، رغم ما تملك بعض الدول العربية من ثروة ، فهذا **لا يعنى القوة** ، ولا تستطيع أن تبنى قوة عسكرية مؤثرة مهما ثقلت ، ولكنها استأجرت من يحقق لها الأمن والأمان ، فأصبحت تعتمد على القوة من الخارج ، ودفعت الثمن من باطن أرضها الغنية بالبترول . . وأخذت أمريكا ثمن الحماية فى حرب الخليج .

وهكذا . . . تختتم أمريكا القرن العشرين ، مؤكدة أن القرن العشرين قرنًا أمريكيًا ، وترسم سياستها على أن يكون القرن الواحد والعشرين قرنًا أمريكيًا أيضًا ، وبدأت فى نهاية هذا القرن بتصعيد أزمة منع انتشار الأسلحة النووية بصفة عامة فى مختلف أنحاء العالم ، والتحكم تحكمًا كاملاً فى تدفقات السلاح إلى منطقة الشرق الأوسط ، وهذا بالطبع ضماناً لتفوق إسرائيل .

ورغم أن كوريا الشمالية وقعت الاتفاقية الخاصة بمنع انتشار الاسلحة النووية عام ١٩٨٥ - وموقف أمريكا فى هذا عجيب - فهى تترك الأسلحة النووية الثابت وجودها فى إسرائيل ، وتبحث عن أسلوب للسيطرة على عدم إنتاجها فى أى دولة عربية أو أجنبية ، لاتسير فى ركب نفوذها وتحت سيطرتها . وهكذا تثير أمريكا هيئة الأمم ومجلس الأمن ضد

كوريا الشمالية لتخضعها للتفتيش الدولى على أسلحتها النووية ، أما إسرائيل فهى ربيبتها وحبيبتها ، فيجب حمايتها وحماية إنتاجها النووى وحراسته والدفاع عنه !! .

ومازالت وستظل تساعدها تكنولوجيًا وسياسيًا ودبلوماسيًا وعسكريًا واقتصاديًا ونفسيًا لتطوير البنية الأساسية فى إسرائيل ، لتوصلها إلى حلم بنى إسرائيل بإسرائيل الكبرى من المحيط إلى الخليج . وتعرض أمريكا السلام حسب هواها على العالم العربى مع إسرائيل ، خطوة خطوة ، فى سياسة مرسومة بدقة لتحقيق أمن إسرائيل وازدهارها .

الفصل الرابع

إعداد القوى الإسرائيلية للحرب النووية

اعتمد الوجود الإسرائيلى - منذ عام ١٩٤٨ - على عامل **الردع** فى تأمين الدولة الفتية ، وكانت سياستها الخارجية - ومازالت - تبنى حياتها على أساس ضمان احتياجات حق الردع شرعيًا ، وتطور أسلوب الردع الإسرائيلى ، حسب الظروف الدولية والعربية وتطورت كفاءته وقدراته . ووضعت إسرائيل خطة لإعداد القوى ورباط الخيل ، تسير على مراحل مدروسة دراسة وافية ، فالحرب عندهم شريعة ، وتنقسم الحروب عند اليهود إلى نوعين :

الأولى : الحرب الدفاعية وحكمها فى الشريعة الإسرائيلية أن رئيس اليهود - أو من يقوم مقامه يشرع فيها دون الحاجة إلى أخذ موافقة المجمع الكهنوتي الشرعي ، ودائمًا ما يجعلون لحروبهم العدوانية التوسعية شكلاً دفاعيًا ؛ ليضمنوا عدم معارضة رجال الدين ، والتمكن من التعبئة العامة ما دامت الحرب الدفاعية فريضة على الجميع ، وكسب عطف الرأي العالمي ، لأنها تدافع عن كيانها ولا تعتدى على أحد حسبما يزعمون .

أما النوع الثاني : فهو الحرب الهجومية لتوسيع رقعة الدولة بانتزاع الأراضي بالقوة ، ثم ظهر نوع آخر من الحروب بعد الحرب العالمية الثانية ، تسمى نظريته بالحرب الوقائية (اعتداء **مباغت** على دولة أخرى لتدمير قوتها العسكرية ، لتفرض عليها إرادتها وشروطها) .

إلاّ أنه عندما تعدَّدت الدول التى تمتلك الأسلحة النووية . . اختل توازن القوى فى العالم ، وبدأت مفاوضات الحد من الأسلحة الإستراتيجية والنووية بين من يمتلكها ، أو من هو فى طريق الوصول إلى أسرارها . وكما غيَّر هذا التوازن الذرى إستراتيجية الدول الكبرى فى تصعيد الأزمات ، منه حد المواجهة الشاملة إلى إستراتيجية **الحرب المحدودة** .

---

(١) تنتج جنوب أفريقيا كميات ضخمة من اليورانيوم ، وكذا الجابون .

وبدأت إسرائيل فى أعقاب قيام الدولة فى قطع شوط كبير فى التقدم الذرى ، فقد أبدى بن جوريون اهتمامًا كبيرًا بتطوير وتحسين الصناعات العسكرية منذ قيام الدولة ، وجلبت عددًا من العلماء اليهود ، وتوسعت فى إرسال البطلبة من إسرائيل إلى مؤسسات ومعاهد الأبحاث النووية فى سويسرا ، إلى أن شكلت لجنة الطاقة الذرية الإسرائيلية عام ١٩٥٤ ، وأشرفت على معظم الأبحاث الذرية . وقد كانت الولايات المتحدة الامريكية أول من أدخل النشاط الذرى إلى منطقة الشرق الأوسط ، بإقامتها المفاعل الذرى فى إسرائيل بموجب اتفاقية بينهما ، وقعت عام ١٩٥٥ ضمن البرنامج الأمريكى « الذرة من أجل السلام » ، وكان الإشراف على هذا المفاعل يتم من جانب الولايات المتحدة الأمريكية ، وكان ذلك أحد العوامل التى أتمت القدرات الفنية لخبراء إسرائيل . وكانت إسرائيل قد انشأت مفاعل ديمونا بالتعاون مع فرنسا وألمانيا الغربية ، وبدأ العمل فيه خلال فترة التعاون والتحالف الإسرائيلى الفرنسى الكامل فى دعم إسرائيل .

واستمرت إسرائيل تنمى قدراتها الذاتية فنيًا ، واستفادت من علماء الذرة فى العالم الغربى من اليهود ، وكذا من بعض الدول الأفريقية فى تنمية نشاطها . ومن ناحية أخرى . . فإن الخبرة الألمانية المتقدمة شاركت فى التطور الذرى لإسرائيل ، على أساس الاستفادة المشتركة .

وقد اتخذت إسرائيل من نشاطها الذرى وسيلة للمساومة ؛ لتحقيق أهداف سياستها الخارجية بمعاونة أمريكا لتقييد تدفق الأسلحة التقليدية إلى دول الشرق الأوسط ، وتقديم مزيد من الضمانات الأمريكية للوجود الإسرائيلى ، والحصول على مزيد من المساعدات ، والمنح والقروض المسيَّرة مثل : مفاعل تحلية المياه ، ويمثل السلاح الذرى الضمانة للوجود الإسرائيلى فى مواجهة العداء العربى ، حيث إن امتلاكها له يعتبر نهاية لاحتمالات القضاء عليها ويعطيها القوة والقدرة الذاتية الداخلية ، لأن الاعتماد على قوى خارجية غير مضمون على ضوء احتمالات التغير المستمر فى موازين القوى الدولية ، ويوفر لها إنتاج السلاح الذرى مبالغ ضخمة ، توجهها إلى شراء الأسلحة التقليدية للحفاظ على توازن معقول للقوى بينها وبين الدول العربية .

فهو الضمان الوحيد لوجودها ؛ خاصة ما يحقق أمنها بامتلاك **ردع إسرائيلى ذاتى** . وسيظل توازن القوى فى الشرق الأوسط من الموضوعات ، التى تشغل الأذهان بالنظر لانعكاساته على مسيرة التسوية الشاملة فى المنطقة . وقد بدأت الولايات المتحدة

الأمريكية تتبنى سياسة الخطوة الخطوة لتحقيق السلام ، ولكنها بالطبع ستستغرق سنوات حتى تجنى ثمارها . ورغم هذا . . فهى تمسك بزمام إعداد القوى الإسرائيلية لتكون متفوقة دائمًا كمًا ونوعًا وتطورًا على كل الدول العربية مجتمعة ؛ ومازالت الفجوة التسليحية والتكنولوچية بين إسرائيل والدول العربية كبيرة جدًا ، خاصة فى مجال الطيران والتسليح النووى التى تجد له أمريكا أكثر من تبرير لدعمة واستمراره ، مع وضع القيود على تسليح دول الشرق الأوسط ، وخاصة الدول العربية .

وكانت مصر قد طلبت من الدول المصدرة للسلاح أن تتعامل مع دول الشرق الأوسط على قدم المساواة - دون تفضيل دولة على أخرى - ومن خلال اتفاق دولى ، يضمن احترام تنفيذ أى قرار يحظر تصدير السلاح ، وعدم استثناء دولة من هذا الإجراء ، ومعارضة إعطاء دولة الحق فى أن تتفوق عسكريًا ، أو تحتفظ بأسلحة نووية تزيد من حدة التوتر !! .

وتتعلل أمريكا بالعراق وإيران بأنهما تطوران أسلحة الدمار الشامل ، وهذا لا يستند إلى أساس من الصحة ، فلا يمكن حاليا لأى دولة عربية أو إيران أن تصبح قوة نووية ، ولو صغيرة قبل نهاية هذا القرن . فالعراق قد وافق على قرار مجلس الأمن رقم ٧١٥ ، الصادر فى ١٣ اكتوبر ١٩٩١ ، القاضى بفرض الرقابة الدائمة لمنع العراق من إعادة بناء أسلحة الدمار الشامل بمختلف أنواعها . أما بالنسبة لإيران فإنها لن تستطيع - مهما فعلت - أن تقف أمام محاولة أمريكا فرض التسوية السلمية فى المنطقة ، أو أن تفسد الاتفاقات التى تقرها الدول العربية نحو إسرائيل . كما أن الفجوة التكنولوچية بين العرب وإسرائيل فجوة كبيرة واسعة ؛ خاصة فى المجالات الفضائية والنووية ؛ فإسرائيل مشتركة مع أمريكا فى مبادرة الدفاع الإستراتيچى الأمريكية (مشروع حرب النجوم) ، وتزداد الفجوة اتساعًا - يومًا بعد يوم - فى هذه المجالات ، وهو ليس فى مصلحة تحقيق السلام الشامل مطلقًا !! .

إن السلام العادل الشامل يتطلب أن تكون منطقة الشرق الأوسط خالية من جميع أسلحة الدمار الشامل ، وأن تتم الرقابة الفعلية على جميع الدول بما فيها إسرائيل . وتقع المسئولية الأولى فى ذلك على عاتق الولايات المتحدة الأمريكية ، حتى تنعم المنطقة بالسلام والاستقرار .

ولقد صدر فى أمريكا كتاب جديد ، عنوانه « إسرائيل والتسليح الذرى » ، يوضح مؤلفه بيانات إحصائية خطيرة فى هذا المجال مثل :

إنها تمتلك ٢٠٠ قنبلة ذرية كبيرة ، و ١٠٠٠ قنبلة ذرية صغيرة سنويًا .

وأن الطاقة السنوية لمفاعل ديمونا الذرى ، قادر على تخصيب يورانيوم يكفى لصنع ١٠ قنابل ذرية كبيرة ، و ٥٠ قنبلة ذرية صغيرة .

بالإضافة إلى أنها تمتلك فى صحراء النقب مصنعًا كبيرًا ، أقيم تحت الأرض لصناعة الأسلحة الكيميائية والقنابل الميكروبية ، مع وجود خطة عسكرية إسرائيلية دقيقة لصناعة الصواريخ والطائرات القاذفة ، التى ستقوم بنقل هذه القنابل الذرية وأسلحة التدمير الشامل إلى الأهداف المحددة لها !!

احتمالات المستقبل :

إن دخول الأسلحة الذرية إلى منطقة الشرق الأوسط كان له آثاره البعيدة ، التى يصعب حسابها بدقة ، والتى لا تتوقف نتائجها عند حد تأمين الوجود الإسرائيلى ، بل قد ينقلب فى المدى الأبعد إلى سلاح أكثر فتكًا ، يهدد هذا الوجود الإسرائيلى بالزوال ، وبصورة أسرع من أى تهديد بالأسلحة التقليدية .

وسيتوقف مدى هذا على قدرة الدول العربية فى إعداد القوى ، وفى الوصول إلى درجة من التقدم العلمى والتكنولوجى لتلحق إسرائيل ؛ فالقوة الإسرائيلية اليوم - مهما كانت - هى قوة نسبية ، ولن تظل لطرف واحد إلى الأبد ، فالمشكلة سوف تكون بالنسبة لإسرائيل مسألة **حياة أو موت** ، ولكن قد تصل الدول العربية - إذا تضامنت واجتهدت - إلى مرحلة **التوازن النووى** . وفى هذا بداية النهاية فهناك مشكلة العمق والمساحة والقوة البشرية فى إسرائيل ، وهناك ايضا احتمالات التغلب على التخلف التكنولوجى العربى والاتجاه الجدى إلى السير فى مجال التقدم الذرى ، فهى تمتلك الأموال والبترول ، وتحاول أن تمتلك الخبرة ، وإذا امتلكت هذه الخبرة مع التضامن العربى الصادق . . حققت بداية النهاية لإسرائيل . .